جامعة الملك سعود
King Saud University

كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الندوة الدولية الثانية

قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة

٢٥-٢٧/٤/١٤٣٥هـ
٢٥-٢٧/٢/٢٠١٤م

المحتويات

البحث	الصفحة
كلمة رئيس الندوة د. خالد عايش الحافي	٣
كلمة رئيس التحرير أ. د. نورة الشملان	٥
خطاب التجديد في مجال إحياء التراث عوض بن حمد القوزي	٧
قراءة النقد الثقافي للتراث الأدبي: آفاق التلقي والتأويل أميرة بنت سلمان القفاري	١٧
قراءة حداثية للتراث وإشكالات المنهج دياب قديد	٤٥
من جهود المغاربة في قراءة النصوص الأدبية والنقدية التراثية: دراسة مصطلحية رشيد سلاوي	٦٧
إشكالية المنهج عند النقاد المعاصرين ودورها في تطوير قراءات الشعر القديم عبدالقادر الحسون	١٠١
رهانات تأويل الخطاب التراثي: تأصيل الكيان من المنظور الحواري فاتحة الطايب	١٢٧
معالم النظرية الإشارية في فكر الإمام ابن قيم الجوزية والدرس اللساني الحديث إدريس بن خويا وفاطمة برماتي	١٤١
التناول النصي في التراث النقدي العربي: دراسة في ضوء لسانيات النص رشيد عمران	١٥١
الشروط الأساسية في قراءة التراث اللغوي واللساني مجدي بن صوف	١٦٣
تفسير النص القرآني وتأويله بين المنهج السلفي والاتجاهات الحداثية محمود أبو المعاطي	١٨٥
الآليات التداولية لتحليل الخطاب من وجهتي نظر الأصوليين والتداوليين المحدثين مختار درقاوي	٢١٣
رثائية المعري الإنسانية: قراءة من منظور تناصي إبراهيم الدّهون	٢٥١
قراءة عبدالقاهر الجرجاني وتصوّره لفعل القراءة أبوعبدالسلام محمد الإدريسي	٢٦٧
قراءة القرطاجني في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة خليفة الميساوي	٢٨٣
قراءة التراث الأدبي: التراث السردي نموذجًا سعيد يقطين	٣١١
القراءة العاشقة أو إستراتيجية قراءة النص السردي الكلاسيكي: عبدالفتاح كيليطو نموذجًا عبدالرحمن بوعلي	٣٢٣

البحوث

المشرف العام

د. خالد بن عايش الحافي

رئيس التحرير

أ.د. نورة بنت صالح الشملان

مدير التحرير

د. يوسف بن محمود فجال

أعضاء اللجنة العلمية

أ. د. صالح بن زيّاد الغامدي
أ. د. إبراهيم بن سليمان الشمسان
أ. د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك
أ. د. مها بنت صالح الميمان
د. محمد بن لطفي الزليطي
د. بسمة بنت ناجي عروس

المدقق اللغوي

د. حسين المناصرة

البحث	الصفحة
أسلوب النداء في العربية دراسة في تداوليّة الخطاب أيمن محمود محمد إبراهيم	٣٤٣
القضايا التداولية للواسمات في الدرس اللساني العربي ومحطات التقاطع الإبستمولوجي في الدرس المعاصر الجمعي أبو العراس	٣٦٥
نحو قراءة إبستمولجية معرفية للتراث النحوي العربي عبدالرحمن بودرع	٣٧٩
اللسانيات والتراث النحوي: إشكالات منهجية وإبستمولوجية محمد بن صالح وحيدي	٤٠٩
الضرورة الشعرية بين نحو الجملة ولسانيات النص منال نجار	٤٢٥
السيميائيات التأويلية إبدال نقدي لقراءة التراث وترهينه عبدالله بريمي	٤٥١
سيميائيات التلفّظ وتأويل الخطاب: بائية علقمة الفحل أنموذجًا عبدالفتاح يوسف	٤٧١
التحليل السيميائي للنصوص التراثية: مقاربة لتجربة عبدالفتاح كيليطو عبداللطيف محفوظ	٥١٧
آليات تحليل النص التراثي في ضوء المناهج المعاصرة السيميائية / التداولية نادية لقجع جلول	٥٣٣
قضايا تداولية في الخطاب القصصي القرآني: قصة سيدنا يوسف أنموذجًا إيمان جربوعة	٥٥٧
المعجمية الحديثة وإعادة قرءة التراث اللغوي العربي عبدالرحمان أحمد يجيوي	٥٧٩
المهمل في المعجم العربي وسبُل استثماره في وضع المصطلح عبدالقادر بن ميلود سلامي وسليمة حبيب بحياوي	٦١٣
نحو تسطيع «المرايا المقعرة» قراءة نقدية في بعض القضايا الواردة في كتاب المرايا المقعرة حميدي بن يوسف عمر	٦٣١
وقائع الخطاب في كتاب مجالس العلماء للزجاجي وسمية عبدالمحسن المنصور	٦٥١
تأصيل التراث في ظل الأدب المقارن بشير أحمد يوسف عمر	٧٠١
ماهية التراث ضمن المحمولات الأيديولوجية الحديثة عند الشاعر العربي المعاصر حبيب بُوهرور	٧٢٥
القراءة الحداثية للتراث: موقع التراث في بيانات الحداثيين العرب عبدالله العشي	٧٤٥
النقد الحداثي ورهاناته بين نصوصيّة عربية وإجرائية غربيّة لعموري زاوي	٧٦٥
المصطلح النقدي Hermenetics بين خلفية الفكر الغربي وواقع التصور العربي مختار عبدالقادر لزعر	٧٨٥

العنوان

ص.ب : ٢٤٥٦
الرياض: ١١٤٥١
هـــاتف: ٠١١٤٦٧٥١٠١
فـــاكس: ٠١١٤٦٧٥٠٩٤

البريد الإلكتروني

nadwa.arabic@ksu.ed.sa

معالم النظرية الإشارية في فكر الإمام ابن قيم الجوزية والدرس اللساني الحديث

إدريس بن خويا، وفاطمة برماتي

الأستاذان المشاركان في اللسانيات، الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار، بالجزائر

ملخص:

لقد اشتغل القدامى –رحمة الله عليهم– باللغة أيّما اشتغال، فلا يمكننا أن نستثني منهم الأصوليين، ولا حتى الفلاسفة والمفسرين. وأن من بين هؤلاء العلماء الذين أثروا الساحة الإسلامية بمؤلفاتهم القيّمة وفي مختلف المعارف والعلوم، نجد الإمام ابن قيم الجوزية الذي سجّل حضوره وبقوة في ساحة البحث اللغوي الأصيل.

وأن من بين القضايا التي سنقف عندها في هذا البحث الإشارة إلى أبعاد النظرية الإشارية في فكر هذا العالم الذي كان من بين العلماء القدامى السبّاقين إلى هذا الطرح.

وأن النظرية الإشارية تهدف إلى دراسة المعنى طبقاً للمشار إليه، والمركز فيه على المرجع؛ باعتبار أن ابن القيم من أنصار القائلين بالمرجع، شأنه في ذلك شأن أبي حامد الغزالي من التراثيين العرب، وكذا أوجدن وريتشارذ من الغربيين من خلال كتابهما معنى المعنى، الذي جاء على أنقاض طروحات دي سوسير حين إهماله لفكرة المرجع، وتمسّكه بفكرة ثنائية الدال والمدال، أو ما ينعت بالصورة السمعية والصورة الذهنية.

وإذا كانا أوجدن وريتشارذ قد اُشتهرا بقضية المرجع أو المشار إليه في الدرس الغربي الحديث، فإن علماءنا العرب القدامى كانوا على دراية تامة بأهمية المشار إليه أو المرجع، بل كانوا سبّاقين إليه قبل أوجدن وريتشارذ بعدة قرون، نظراً لأهميته في الكشف عن المعنى.

مقدمة:

لقد اشتغل القدامى –رحمة الله عليهم– باللغة أيّما اشتغال، فلا يمكننا أن نستثني منهم الأصوليين، ولا حتى الفلاسفة والمفسرين. وأن من بين هؤلاء العلماء الذين أثروا الساحة الإسلامية بمؤلفاتهم القيّمة وفي مختلف المعارف والعلوم، نجد الإمام ابن قيم الجوزية الذي سجّل حضوره وبقوة في ساحة البحث اللغوي الأصيل.

وأن من بين القضايا التي سنقف عندها في هذا البحث الإشارة إلى أبعاد النظرية الإشارية في فكر هذا العالم الذي كان من بين العلماء القدامى السبّاقين إلى هذا الطرح.

وأن النظرية الإشارية تهدف إلى دراسة المعنى طبقاً للمشار إليه، والمركز فيه على المرجع؛ باعتبار أن ابن القيم من أنصار القائلين بالمرجع، شأنه في ذلك شأن أبي حامد الغزالي من التراثيين العرب، وكذا أوجدن وريتشارذ من الغربيين من خلال كتابهما معنى المعنى، الذي جاء على أنقاض طروحات دي سوسير حين إهماله لفكرة المرجع، وتمسّكه بفكرة ثنائية الدال والمدال، أو ما ينعت بالصورة السمعية والصورة الذهنية.

وإذا كانا أوجدن وريتشارذ قد اُشتهرا بقضية المرجع أو المشار إليه في الدرس الغربي الحديث، فإن علماءنا العرب القدامى كانوا على دراية تامة بأهمية المشار إليه أو المرجع، بل كانوا سبّاقين إليه قبل أوجدن وريتشارذ بعدة قرون، نظراً لأهميته في الكشف عن المعنى.

ومن هؤلاء العلماء القدامى الذين اهتموا به نجد ابن القيم الذي أعطى هو الآخر أهمية كبرى لعامل المرجع أو المشار إليه بالإضافة إلى الدال أو المدلول في التعامل مع النصوص الشرعية باعتبارها أرقى النصوص، ومن أمثلة آرائه المتعددة بتعدد مؤلفاته في ذلك نجد عند القدامى أيضًا كمثل ابن القيم الذي يقتفي أثر هؤلاء في إشارته بصورة واضحة إلى معالم النظرية الإشارية القائمة على الدال والمدلول والمرجع.

إن هذه النظرية جاءت على أنقاض ما قدّمه دو سوسير في حصره للعلامة في الدال والمدلول، وإهماله لفكرة الشيء أو المرجع. فلقد قامت من طرف الإنجليزيين أوجدن Ogden وريتشارذ Richards من خلال كتابهما The Meaning of Meaning، حيث أوضحا وجهة نظرهما في أركان الدلالة بإشارة إلى ما يعرف بالمثلث الدلالي:

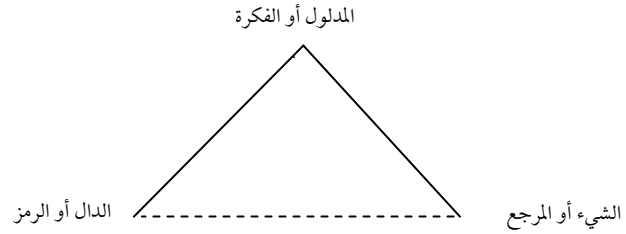

فيتضح من خلال المثلث وجود علاقة مباشرة بين الدال والمدلول، بينما لا توجد علاقة مباشرة بين المدلول والمرجع.

ولذلك، فإن معنى الكلمة من منظور النظرية الإشارية هو إشارتها إلى شيء غير نفسها، فدراسة المعنى تتطلب دراسة ثلاثة جوانب؛ لأن الوصول إلى المرجع أو المشار إليه يكون عن طريق المدلول (الصورة الذهنية)[1].

إن هذا التصور نجد له حضورًا في تراثنا العربي، من حيث عد المرجع طرفًا ثالثًا في العلامة، وذلك في مثل قول الغزالي لبيان رتبة الألفاظ من مراتب الوجود: « اعلم أن المراتب فيما نقصده أربع، واللفظ في الرتبة الثالثة، فإن للشيء وجودًا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة. فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان » [2]. وهو الطرح نفسه نجده عند ابن سينا[3] وابن تيمية[4].

ونجد ابن القيم يحذو حذو هؤلاء في إشارته بصورة واضحة إلى معالم النظرية الإشارية القائمة على الدال والمدلول والمرجع، حيث يقول في قصيدته النونية[5]:

إنَّ الُمعَيَّنَ ذُو مَرَاتِبَ أربَعٍ عُقِلتْ فَلاَ تَخْفَى عَلَى إنسَانِ:

فِي العيْنِ، ثُمَّ الذِّهْنِ، ثُمَّ اللَّفْظِ، ثُمَّ الرَّسْمِ حِينَ تَخُطُّهُ بِبَنَانِ

لذلك نجده يبسط القول فيها في موضع آخر قائلاً: « إن للشيء أربع مراتب: مرتبة في الأعيان، ومرتبة في الأذهان، ومرتبة في اللسان، ومرتبة في الخط؛ فالمرتبة الأولى: وجوده العيني، والثانية: وجوده الذهني. والثالثة: وجوده اللفظي. والرابعة: وجوده الرسمي» [6]. ومنه فإن العلامة عند ابن القيم هي ذلك الكيان المتكامل من أربعة أطراف أساسية:

- الموجود في الأعيان.
- الموجود في الأذهان.
- الموجود في الألفاظ.
- الموجود في الرسم؛ أي الكتابة أو الخط.

(١) ينظر د. مختار عمر، علم الدلالة، ص٥٥- ٥٦، و بالمر، علم الدلالة، ص٣١، وبيير جيرو، علم الدلالة، ص٣٩- ٤٠.

(٢) أبو حامد الغزالي، معيار العلم، ص٤٦- ٤٧.

(٣) ينظر فايز الداية، علم الدلالة، ص١٤- ١٥.

(٤) ينظر د.هادي أحمد فرحان الشجيري، الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات ابن تيمية، ص٦٧.

(٥) ابن قيم الجوزية، شرح القصيدة النونية، ١٤٠/١.

(٦) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق، ٤٣٥/٢.

ومن لطائف التعبير القرآني فيما يتعلق بالوجود الذهني والوجود العيني ما استنبطه ابن القيم من قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1]. وقوله - أيضا: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[2]، حيث يقول: «"الخلق" إعطاء الوجود العيني الخارجي، و"الهدى" إعطاء الوجود العلمي الذهني، فهذا خلقه، وهذا هداه وتعليمه »[3].

وكذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[4]. الذي حاول من خلال النص استنباط الموجودات الأربعة، حيث يقول: « فتأمّل كيف جمع في هذه الكلمات مراتب الخلق كلها، وكيف تضمنت مراتب الوجودات الأربعة بأوجز لفظ وأوضحه وأحسنه، فذكر أولاً عموم الخلق وهو إعطاء الوجود الخارجي» [5].

وأما عن مرتبة الوجود الذهني فهي مجسّدة في قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾. وأما اللفظ فهو المستلزم لتعليم العلم. وأما الرسم أو الكتابة فهو ما يعبّر عنه بالقلم في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾.

ولأهمية الكتابة يقول ابن القيم: « ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودُرِسَت السُّنن، وتخبَّطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السّلف، وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم، فجعل لهم الكتاب وعاءً حافظاً للعلم من الضياع؛ كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان» [6]؛ وهذا لتأكيد منه على أهمية الكتابة في العملية التواصلية في في الحياة الإنسانية.

(١) سورة النمل، الآية ٦٠.

(٢) السورة نفسها، الآية ٦٣.

(٣) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص٧٩.

(٤) سورة العلق، الآيات ١- ٥.

(٥) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ٢٧١/١.

(٦) المصدر والصفحة نفسهما.

ولذلك فإن التعليم بالقلم « يستلزم المراتب الثلاثة: مرتبة الوجود الذهني، والوجود اللفظي، والوجود الرسمي» [1]؛ وهذا بوجود إطلاق التعلم بالقلم، أما إذا كان التعليم عاماً دون إشارته للقلم فإن ذلك لا يكون مستوعباً للمراتب، فالعلاقة بين الخط واللفظ علاقة سببية.

ومثاله - أيضًا- قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾[2] الذي استنبط منه ابن القيم مراتب الوجود، حيث يقول: « دلت هذه الكلمات على إعطائه سبحانه مراتب الوجود بأسرها. فقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ إخبار عن الإيجاد الخارجي العيني...وقوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ إخبار عن إعطاء الوجود العلمي الذهني؛ فإنما تعلم الإنسان القرآن بتعليمه، كما أنه إنما صار إنساناً بخلقه، فهو الذي خلقه وعلّمه » [3]؛ أي أن مرتبة الوجود الخارجي قد تجسّدة في "خلق الإنسان"، وأما مرتبة الوجود الذهني فنجدها مجسّدة في "علّم القرآن".

وأما عن قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ فيرى ابن القيم أنه اشتمل على ثلاث مراتب، وذلك أن « البيان هنا يتناول مراتب ثلاث كل منها يسمى بياناً: أحدها: البيان الذهني الذي يميز فيه بين المعلومات. الثاني: البيان اللفظي الذي يعبّر به عن تلك المعلومات، ويترجم عنها فيه لغيره. الثالث: البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ، فيتبيّن الناظر معانيها كما يتبيّن للسامع معاني الألفاظ، فهذا بيان للعين، وذاك بيان للسمع، والأول بيان للقلب. وكثيراً ما يجمع سبحانه بين هذه الثلاثة كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦ ﴾[4]» [5]؛ فالألفاظ محلها السمع، والخط أو الرسم محله البصر، وأما الذهن فمحله القلب، ولذلك نجده في موضع آخر يقول: « المثال العلمي محله القلب، والحقيقة الخارجية محلها الخارج» [6].

ومن ذلك - أيضًا- الانتقال الحاصل بين اللفظ والذهن، والموجود الخارجي، نجد ابن القيم يقول: « إنه نهى مَنْ رأى رؤيا يكرهها أن يتحدث بها[7]؛ فإنه ذريعة إلى انتقالها من مَرْتَبَة الوجود اللفظي إلى مرتبة الوجود

(١) المصدر نفسه، ١٧٢/١، وينظر الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات ابن تيمية، ص٦٨.

(٢) سورة الرحمان، الآيات ١- ٤.

(٣) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ٢٧٢/١.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٥) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ٢٧٢/١- ٢٧٣.

(٦) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين، ص٢٤.

(٧) وأصل الحديث: ﴿ فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فلا يحدّث بها أحداً ﴾. سنن الترمذي، ٥٤١/٤.

الخارجي، كما انتقلت من الوجود الذهني إلى اللفظي، وهكذا عامة الأمور تكون في الذهن أولاً، ثم تنتقل إلى الذّكر، ثم تنتقل إلى الحس...ومن تأمل عامة الشر رآه متنقلاً في درجات الظهور طبقاً بعد طبق من الذهن إلى اللفظ إلى الخارج» [1]؛ لأن التحدث بالأشياء المكرهة التي نراها في المنام تحيلنا إلى تخيّلات خارجية، تحيلنا إلى التفكير فيها دائما، ولربما أصبحنا نتخوف منها، أو نضعها في الحسبان. وسبب هذا الخوف انتقال تلك الرؤية التي كانت مجسدة في الذهن عن طريق اللفظ، ومن ثمة إحالتها إلى العالم الخارجي أو إلى أشياء محسوسة.

ولتجسيد ابن القيم لقضية الدال والمدلول والمرجع نجد ذلك - أيضًا- أثناء حديثه عن أنواع العلوم، حيث يقول: « العلم نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس، والعمل نقل صورة عليمة من النفس وإثباتها في الخارج؛ فإن كان الثابت في النفس مطابقاً للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح »[2]؛ فالمعلوم عنده صورة المعلوم في النفس، والمرجع هو صورة المعلوم في الخارج، وأنه إذا كان اللفظ يطابق الذهن أو الدال يطابق المدلول مطابقة تامة حقيقية فهي الدلالة الكاملة، فلا حاجة لنا باللجوء إلى الشيء الخارجي أو المرجع في هذه الحال، بل الأولى لنا الأخذ بالتصورات الذهنية، لا التصورات الخارجية حسب رأيه.

إن هذا الرأي الأخير هو نتيجة الخلاف الدائر بين العلماء؛ سواء أكانوا لغويين أم فلاسفة من حيث كون الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، أو هي موضوعة بإزاء الماهيات الخارجية؟. وقد حكى السيوطي بقوله: « فذهب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي إلى الثاني، وهو المختار. وذهب الإمام فخر الدين وأتباعه إلى الأول؛ واستدلوا عليه بأن اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة في الذهن؛ فإن من رأى شبحاً من بعيد وظنه حجراً أطلق عليه لفظ الحجر...فإذا تحقق أن إنسان أطلق عليه لفظ الإنسان؛ فبان بهذا أن إطلاق اللفظ دائر مع المعاني الذهنية دون الخارجية؛ فدلّ على أن الوضع للمعنى الذهني لا الخارجي »[3].

وإذا كان السيوطي ينتصر إلى الرأي الثاني وهو كون الألفاظ بإزاء الماهيات الخارجية لا بحسب الصور الذهنية حسب اختيار الرازي، فإننا نجد من زاوية أخرى أن ابن القيم قد تعرّض إلى هذا الخلاف الجوهري الدقيق، واختار الرأي الأول القائل بأن الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، موجهاً نقده إلى بعض الفلاسفة الذين أخذوا بالرأي الثاني، حيث يقول في قصيدته النونية[4]:

هذا هداك الله من إضلالهم وضلالهم في منطق الإنسان

(١) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، ٧٠٧/٣.

(٢) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص٩١.

(٣) جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص٥٤.

(٤) ابن قيم الجوزية، شرح القصيدة النونية، ٣٢٨/١.

كمجـــردات في الخيـــال وقـــد بنى قـــوم عليهـــا أو هـــن البنيـــان
ظنـــوا بـــأن لهـــا وجـــودا خارجا ووجـــودهـــا لـــو صـــح في الأذهـان
أنـــي وتلك مشخصـــات حصـــلت في صـــــورة جزئيـــة بعيـــان
لكنهـــا كليـــة إن طـــابـــقت أفرادهـــا كـــاللفـــظ في الميـــزان

وبذلك نجده يؤكد على أن الألفاظ هي موضوعة بإزاء الصور الذهنية؛ لأن بعض هؤلاء الفلاسفة أخذوا بالمجردات الخيالية، وظنوا بأن لها وجودًا في الأعيان، وبنوا على ذلك الظن أوهن البنيان، مع أن وجودها لو صح لا يكون إلاّ في الأذهان، وبالتالي فإن الموجود في الخارج لا يكون إلاّ مشخصاً حاصلاً في صورة جزئية معينة غير مشتركة. وأما إذا كانت الصورة صادقة على أفراد كثيرة ومطابقة لهم، فهي كلية، ولا وجود لها إلاّ في الذهن)[1]، وهو ما عبّر عنه في موضع آخر لما ردّ على الفلاسفة الذين أخذوا بالرأي القائل بوضع الألفاظ بإزاء الماهيات الخارجية بقوله: « إنهم أصابهم في تجريد الألفاظ عن قيودها وتركيبها، ثم الحكم عليها مجردة بحكم، وعليها عند تقييدها بحكم غيره ما أصاب المنطقيين ومن سلك سبيلهم من الملاحدة في تجريد المعاني وأخذها مطلقة من كل قيد، ثم حكموا عليها في تلك الحال بأحكام، ورأوا وجودها الخارجي مع قيودها يستلزم ضد تلك الأحكام، فبقوا حائرين بين إنكار الوجود الخارج، وبين إبطال تلك الحقائق التي اعتبروها مجردة مطلقة»[2]. ثم يواصل كلامه قائلاً: «فصاروا تارة يثبتون تلك المجردات في الخارج مجردة مطلقة ويسمونها المثل؛ أي المثالات التي تشبه الحقائق الخارجية، وتارة يثبتونها مقارنة للمشخصات لا تفارقها، وتارة يجعلونها جزءاً من المعينات، وتارة يرجعون إلى حكم العقل ويقولون إن وجودها ذهني لا وجود لها في الخارج، ولا يوجد في الخارج إلاّ مشخص معين مختص بأحكام ولوازم لا تكون المطلوب، وهؤلاء الذين جرّدوا الحقائق عن قيودها وأخذوها مطلقة أخرجوا عن مسمياتها وماهياتها جميع القيود الخارجة فلم يجعلوها داخلة في حقيقتها »[3].

ومن خلال تلك الآراء الخلافية، فإننا ننتصر إلى رأي ابن القيم في أن الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، ومن ذهب نحو هذا الاتجاه، وهذا الرأي نرجّحه إلى عدة أسباب منها[4]:

(١) ينظر المصدر نفسه، ١/٣٢٨- ٣٢٩.
(٢) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق، ٢/٤٢٧.
(٣) المصدر والصفحة نفسهما.
(٤) ينظر أبي حامد الغزالي، معيار العلم (الهامش)، ص٤٧، ومحمد يونس، المعنى وظلال المعنى، ص٩٤- ٩٥.

- أنه لو كان المعنى هو الموجود خارجاً (المرجع) لانتفى المعنى بانتفائه، فأكل التفاحة يعني أن التفاحة بقيت بدون معنى.
- أن كثيراً من المعاني ليس لها وجود في الخارج، ومع ذلك فإن لها ألفاظاً تدل عليها كالعنقاء والغول، والمعاني المجردة كالشجاعة والعلم.
- أنه لو كان المعنى هو (المرجع) لاحتجنا لكل مرجع دالاً يدل عليه، وهذا محال.

زومن خلال ذلك، يمكننا القول إن ابن القيزم يضع للوجود أربع مراتب، وهي الأعيان، والأذهان، زوالألفاظ، والكتابة. وأن الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية لا الماهيات الخارجية، وهو بذلك لا يخرج عمّا ذهب إليه بعض العلماء كأبي حامد الغزالي.

المصادر والمراجع

{حسب الترتيب الأبجدي المغربي }

- القرآن الكريم، برواية الإمام حفص عن الإمام عاصم.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، إغاثة اللهفان عن مصائد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، طالثانية، ١٣٩٥- ١٩٧٥م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق وتخريج أحمد إبراهيم زهوة، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، كتاب الروح، خرّج أحاديثه خالد بن محمد بن عثمان، القاهرة، مكتبة الصفا، ط الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمد الإسكندراني وأحمد عناية، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شرح وتحقيق: رضوان جامع رضوان، اختصار الشيخ محمد الموصلي، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: د.علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، ط الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، عدة الصابرين، تحقيق عصام الدين الصّبابطي، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، الفوائد، خرّج أحاديثه وعلّق عليه ووضع فهارسه وحقق نصوصه: أبو خالد الحسين أيت سعيد، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، شرح القصيدة النونية، المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرحها وحققها د. محمد خليل هراس، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- الغزالي، أبو حامد، معيار العلم في فن المنطق، بيروت، لبنان، دار الأندلس.
- مختار عمر، أحمد، علم الدلالة، القاهرة، عالم الكتب، ط الخامسة، ١٩٩٨م.

- جيرو، بيير، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط الأولى، ١٩٨٨م.
- ليونز، جون، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، بغداد، جامعة البصرة، ١٩٨٧م.
- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، حققه وفهرسه محمد عبد الرحيم، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- الشجيري، هادي أحمد فرحان، الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- يونس علي، محمد محمد، المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة العربية، بيروت، لبنان، دار المدار الإسلامي، ط الثانية، ٢٠٠٧م.
- بالمر، ف.ر، علم الدلالة إطار جديد، مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م.
- الداية، فايز، علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

Abstract:

Ancient scholars – May Allah be pleased with them- have worked on language including fundamentalists, philosophers and commentators on the Qur'an. Among those scholars who brought valuable contributions to the genuine language research through his works was Ibn el Quayyem el juzyya.

Among the issues that will be dealt with in this research work is a reference to the dimensions of the signs –Semiotics- theory in the thought of this thinker who was a pioneer in this field.

This theory aims at studying the according to the signified focusing on the reference. Considering that Ibn el Quayyem el Juzyya supports this idea just exact like Abu Hamid el ghazali, among the Arab thinkers, and Ogden and Richards through their book "The Meaning of Meaning' which appeared after the works of Ferdinand de Saussure who referred to the idea of reference focusing on the dichotomist relation between the signified and the signifier or what was referred to as the listening image and the mental image.

Though both Ogden and Richards are famous with the idea of reference or the signified in modern Western studies, the ancient Arab scholars were well aware of the importance this concept centuries before the two in view of its importance in indicating the meaning.